سـلسلة إصدارات أكاديمية الحكمة العقلية | 14 |

# كيف نبدأ

## مسيرتنا للخروج من محمتنا؟

الدكتور أيمن المصري

**كيف نبدأ مسيرتنا للخروج من محتنا؟**

المؤلف: الدكتور أيمن المصري

الإخراج الفني: عباس كبير

الناشر: أكاديمية الحكمة العقلية

العدد: 1000

القطع: بالتويي

الطبعة: الأولى 2014 م

رقم الإيداع الدولي: 978-600-6237- 4-82

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية الحكمة العقلية
WWW.AQLIYAH.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بدّ أن يستجيب القدر

ولا بدّ لليل أن ينجـــلي

ولا بدّ للقيد أن ينكســر

# مقدّمة

لو تأملنا بعقولنا مايدور حولنا من أحداث وأخبار، وما تموج به الساحة الفكرية والسياسية من تناحر وصراعات بين أبناء الأمة من الإسلاميين، واليمين واليسار، وما يحاك ضد أمتنا من أعدائها المتغطرسين بالليل والنهار، وما تعانيه أكثر شعوبنا المستضعفة والمستغرقة في مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية من الفقر والتخلف واللا أبالية، مع ما تتصف به أنظمتها السياسية العميلة للغرب من الاستسلام والتبعية، لوجدنا أننا نعيش بالفعل محنة حقيقية.

فهي محنة على المستوى الفكري والثقافي، ومحنة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، محنة تجعل الحليم حيرانا، محنة كلّما أراد الناس الخروج منها أعيدوا فيها.

وهذه المحنة من العمق والتجذر والتعقيد بحيث يستحيل أن نخرج منها بسهولة وبساطة كما ربما يتوهم أكثر الناس. فهناك من يظن من المثقفين أو ما يسمون أنفسهم بالمتنورين،

أن الحل يكمن في الهجرة إلى الغرب والاقتداء به وتسليم زمام الأمور له؛ لأنه الأعلم والأقدر والأكثر تحضرا منا، وأنه لا سبيل لنا إلى الاستقلال عنه، ولا طاقة لنا بمواجهته، وأن التحلي بالقيم المادية الغربية هو السبيل الوحيد للنهوض والترقي والحضارة، وتحصيل الكمال والسعادة، ويرفعون راية التحرر والتحلل من كلّ شيء يذكّرهم بواقعهم البائس، ولو كان ذلك الشيء هو دينهم وثقافتهم وهويتهم.

هؤلاء يشكلون الطابور الخامس لتحقيق المشروع الغربي وتنفيذ أجندته، شعروا بذلك أم لم يشعروا به، هذا الاتجاه هو ما يسمى بالتيار الحداثوي أو الالتقاطي،والذي انبثقت عنه الأنظمة السياسية الفاسدة العميلة التابعة للغرب في بلداننا العربية والإسلاميّة، وكانوا السبب الرئيسي في إهدار كرامة الأمة وعزتها، وضياع هويتها وأصالتها.

وعلى الطرف المقابل هناك من توهّم أن الحل يكمن في الهجرة إلى الماضي، والاقتداء بسيرة الأسلاف الذين صنعوا للأمة أمجادها كما يقولون، وتمسكوا بظواهر الدين وقشوره، وأعرضوا عن روحه وحقيقته، وعطلوا عقولهم وقلوبهم، وقدموا للأمة صورة ممسوخة ومشوهة ومقلوبة عن الدين الإسلامي المبين، صورة مجردة عن العقل والتفكير، صورة مجافية للسماحة والرأفة والمودة، صورة جعلت من أصول الإسلام فروعا، ومن فروعه أصولا.

صورة ظلمت الإسلام والمسلمين، أما ظلمها للإسلام فبتحريفه وتشويهه. وأما ظلمها للمسلمين ففي إمعانها في

تخلفهم، وفي تنفير أكثرهم عن الدين الإسلامي المبين، وإعراضهم عنه، وارتمائهم في أحضان الغرب المادي، فزادوا من معاناة الأمة ومحنتها.

وقد استغلت قوى الشر من الأنظمة السياسية المتغطرسة في الغرب هذين الاتجاهين أسوء استغلال في خدمة مشاريعها الإمبريالية، وتأمين مصالحها غير المشروعة في البلدان العربية والإسلاميّة، حيث استغلت التيار الأول في غزوها الثقافي للأمة، وسلب دينها وهويتها عنها، وترويج ثقافتها وبضاعتها الفكرية المزجاة والمنحلة، وتمهيد الأرضية للتبعية السياسية الكاملة للغرب من جانب الأنظمة الحاكمة فيها.

كما أنها استغلت التيار الثاني في تشويه الإسلام أيما تشويه، وترويج مقولاتها القديمة في كون الدين أفيون الشعوب، وأنه سبب تخلف الأمة الإسلامية،وكونه قرين التعصب والإرهاب، حيث صنعت من بعضهم جماعات إرهابية وتكفيرية ساذجة، تقتل وتدمر كلّ من يخالفها في الرأي من المسلمين أو غيرهم، ثمّ تقوم أجهزتها الاستخباراتية بعد تدريبها وتأهيلها، بإرسالها جماعات جماعات إلى أي نقطة تريدها في العالم بما يخدم مصالحها الاستعمارية تحت عنوان الجهاد في سبيل الله!

وتأهّل أخرى لنشر التعصب والحقّد والتفرقة المذهبية بين المسلمين، وتجعل بأسهم بينهم شديداً.

كما استطاعت أن تسخر جماعة أخرى لتشغل المسلمين بقضايا فرعية تافهة، وأمور سخيفة، بأن تصنع لهم من بعض إخوانهم أعداء وهميين، فينشغلوا عن قضاياهم المصيرية الكبرى،ويغفلوا عن عدوهم الحقّيقي المتربص بهم في كلّ زمان ومكان.

وبين هذين الاتجاهين هناك من حاول أن يلفق بينهما، فأخذ من الأول الانتهازية والبراجماتية والميكافيلية في السياسة، والرأسمالية أو الاشتراكية في الاقتصاد، وأخذ من الثاني بعض الظواهر الدينية والشرعية. مع شعوره بالدونية أمام الحضارة الغربية المادية، وتوهم أن هذه هي الطريقة المثلى، ونهج الاعتدال والوسطية. وسموا أنفسهم بالإصلاحيين والوسطيين، وأرادوا أن يرضوا الغرب والمسلمين معا، فما استطاعوا أن يواجهوا الغرب ومشاريعه السلطوية والإمبريالية، وما استطاعوا أن ينهضوا بالإسلام والمسلمين.

وبين هذه الاتجاهات المتقابلة تقف الأغلبية الصامتة من الشعوب موقف المتفرج اللا أبالي ممّا يجري على الساحة، فلا همّ لهم سوى التفكير في تأمين مطالبهم الشخصية.

ومن خلال هذه الإطلالة الإجمالية على الوضع المزري والمأساوي الذي يعتصر أمتنا العربية والإسلاميّة، يمكننا أن ندرك حجم هذه المحنة الكبيرة التي نعاني منها.

ولكن لا يعني هذا بأي نحو من الأنحاء أن نصاب باليأس والقنوط، ونستسلم لهذا الواقع المريض والفاسد، فالأمة مازالت تحتفظ ببعض تراثها الأصيل من كنوز المعارف والعلوم والقيم الإنسانيّة، وبعض طاقاتها البشرية الممتازة من أبنائها الشرفاء والمخلصين الذين لم يتلوثوا ـ بعد ـ بما تلوث به غيرهم، ومازالوا يحتفظون بعقولهم وفطرتهم السليمة، وهويتهم الأصيلة.

وهؤلاء هم أمل الأمة وقلبها النابض، والذين ستنهض الأمة ـ بحول الله تعالى وقوته ـ بنهوضهم وتقوم بقيامهم، شريطة أن تعرف هذه النخبة المخلصة من أين تبدأ؟ وكيف تبدأ؟ فإن تشخيص الداء قبل الدواء.

# الفصل الأوّل

# معالم الطريق الطويل

إذا أردنا أن نرسم لأنفسنا معالم الطريق الصحيح الذي ينتهي بنا إلى الغاية المنشودة،وهي الكمال الحقّيقي والسعادة الأبدية، فعلينا أن نتلمس بدقة بداية الطريق، التي تمثّل لنا المنطلق الصحيح لمسيرتنا الجهادية الطويلة في الحياة، وذلك من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى الذي ينشده كلّ إنسان عاقل.

ولا شكّ أنّ تعيين الهدف بنحو واضح ودقيق إنّما يُسهم بشكل كبير في رسم الطريق وتعيين المسار؛ لأنّ الهدف هو الذي تتعلق به إرادة الإنسان الدافعة إلى العمل من أجل تحقيقه.

فعلى سبيل المثال: إنّ الإنسان الذي يُريد أن يسافر إلى القاهرة جنوباً فسوف يسلك طريقاً مختلفاً عمّن يُريد أن يسافر إلى الإسكندرية شمالاً، والإنسان إنّما يُعيّن هدفه وغايته في هذه الحياة بناءً على ما يراه مناسباً لذاته وبالنحو

الذي يحقّق له السعادة والنجاح، وهذه الرؤية تتوقّف بطبيعة الحال على كيفية النظر إلى أنفسنا.

فمن ينظر إلى نفسه نظرةً حسيّةً سطحيّةً أو غرائزيّةً ماديّةً ـ كما هو عليه أكثر الناس ـ فإنّه سيضع هدفه الأسمى في الحياة في سبيل ما يحقق له إشباع هذه الغرائز والرغبات الماديّة من الطعام والشراب، والجنس والمال، والجاه والشهرة، وسوف يرسم طريقه في الحياة بنحو يؤمّن له هذه الغاية.

وبالعكس من ذلك، لو أنّه نظر إلى نفسه نظرةً عقليّةً عميقةً ومتزنةً، فإنّه سيضع لنفسه هدفاً أسمى من ذلك، ويخطّ لنفسه طريقاً يحقّق له الشرف والعزة والكرامة الإنسانيّة.

ومن هذا المنطلق، نفهم أن على الإنسان قبل كلّ شيء أن يدقّق النظر، ويرجع إلى ذاته ليكتشفها ويتعرّف عليها أوّلاً، ثمّ يحدّد هدفه وغايته المناسبة لها ثانياً، كي يرسم معالم الطريق الذي يُريد أن يسلكه من أجل الوصول للهدف المطلوب ثالثاً.

وهذا هو سبيل الراشدين والعقلاء، وطريق المصلحين والأحرار والشرفاء، الباحثين عن السعادة الحقّيقية، والمعرضين عن الظنون والأوهام التقليديّة، والرافضين للاستسلام والانسياق وراء العقل الجمعي والتبعيّة العمياء.

أما سبيل غيرهم من عامّة الناس الضائعين والحائرين

والمتبعين لأهوائهم، فهم ينطلقون من أحاسيسهم وعواطفهم، أو ممّا نشؤوا وترعرعوا عليه في مجتمعاتهم البشريّة، وبحسب ما تأثروا به من الظروف البيئية، من معارف وقيم متعدّدة دينيّة كانت أو ماديّة.

وسواء كانت إسلاميّة أو غير إسلاميّة، يمينيّة كانت أو يساريّة، فهم كالريشة في مهبّ الريح تحملهم العواصف تارةً إلى الشرق وأخرى إلى الغرب، فليس لهم على الحقّ دليل، ولا يهتدون إليه سبيلاً.

ومن هنا، تبدأ الصراعات الفكريّة والمذهبيّة والسياسيّة بين الإسلامي وغير الإسلامي، وبين المتديّن والعلماني، واليميني واليساري، في صراع لا أمد له ولا منتهى، صراع يهدر الطاقات ويدمّر الإمكانات الماديّة والبشريّة.

إذاً، ينبغي لنا أن نعود أوّلاً إلى ذواتنا، ونبحث عن الوسيلة الصحيحة والأمينة التي يمكن أن نعتمد عليها؛ لنتعرّف من خلالها على أنفسنا وحاجاتها أوّلاً، ثمّ على العالم من حولنا ثانياً؛ لكي نبني رؤيتنا الكونية الصحيحة حول حقيقة الإنسان، ومبدأه ومنتهاه، والهدف الذي من أجله يحيا ويعيش في هذا العالم، وما هو طريق السعادة والحياة الكريمة؟

ولا ينبغي أن يتوهّم أحد أنّ هذا الحديث نوع من التفلسف الرومانسي أو المثالية الخيالية التي لا علاقة لها بالواقع أو الحياة؛ لأن هذا التوهم هو الذي يقود أكثر

الناس إلى التعامل السطحي والساذج مع مثل هذه القضايا المصيريّة التي تُعيّن مصير الإنسان في هذه الحياة وما بعدها، وتجعلهم بعد ذلك ألعوبة في أيدي الأشرار والمحتالين، وضحايا لأصحاب الأفكار المنحرفة والأحزاب السياسية الانتهازية، والتي لا تبحث إلا عن مصالحها الشخصية أو الفئوية.

بل الذي قلناه هو عين الواقع الموضوعي غير المنحاز إلى أيّ أفكار قبليّة أو عقائد مسبقة مفروضة علينا، بل نسعى أن ننطلق من نقطة الصفر لنتلمس بداية الطريق الصحيح بعيداً عن الميولات النفسانيّة أو الضغوط الاجتماعيّة أو القوالب الفكريّة النمطيّة الخارجيّة.

فعلى الثلّة العاقلة والحرّة التي تبغي معرفة الواقع بنحو مستقل وموضوعي، وتسعى لإصلاح نفسها ومجتمعها البشري، وتريد أن تقود مسيرة النهضة والرفعة لأمّتها، وتضع أسساً جديدةً وأصيلة للحضارة الإنسانيّة، أن تسلك هذا السبيل، لتخرج نفسها وأمّتها من حضيض الاستبداد والتخلّف والعبوديّة إلى قمّة الكرامة والعزة والحرية.

## الفصل الثاني

## نظرة من الخارج نحو النفس

لو نظرنا إلى أنفسنا من الخارج وقايسناها بما يُحيط بها من الأشياء الموجودة في هذا العالم، لوجدنا أنّنا نشترك معها في كثير من الصفات والخصائص، فنشترك مع الجمادات في الجسم، مع كونها أكثر صلابةً وقوّةً، ونشترك مع النباتات في النمو، مع كونها أسرع نمواً، كما يجمعنا مع سائر الحيوانات الحسّ والشعور، بالإضافة إلى الحركات الإراديّة، مع أنّ أكثرها أقوى منّا في الحسّ وأسرع في الحركة، فما الذي يميّزنا إذاً عنها؟ وما الذي يفضّلنا عليها؟ والحال أنّ الإنسان يدّعي في أنّه سيّد الكائنات، وأشرف المخلوقات في هذا العالم؟

ولو عُدنا وتأملنا في أنفسنا من الداخل، وأخذنا نفكّر أكثر وأكثر فيما يميّزنا عن سائر الكائنات، فسوف نكتشف بأنّ هناك شيئا في داخلنا كان يرافقنا منذ بداية مسيرتنا في البحث عن طريق السعادة وتعيين الهدف في الحياة، وفي

البحث عن حقيقة أنفسنا، وحقيقة العالم الذي نعيش فيه، وفي تحليلنا للحوادث التي تدور من حولنا، وفي تحسيننا للأشياء وقبولنا إيّاها وتقبيحنا لأخرى، ورفضنا لها.

وهذا الشيء هو بالطبع وراء إحساساتنا الظاهريّة البسيطة للصور والأشكال والألوان والأنغام، والروائح والطعوم، ووراء إحساساتنا الوجدانيّة وانفعالاتنا الباطنية الجزئيّة من الشعور بالألم والحزن، والشوق والسرور، وأيضاً شيء وراء خيالاتنا المتعلّقة بهذه المحسوسات الظاهرة والباطنة، حيث تتعلّق جميعها بإدراكات جزئية ساذجة وبسيطة، بل هو شيء وراء الزمان والمكان والأجسام الموجودة فيهما، حيث نُدرك بهذا الشيء معانٍ عامةً وكلّيةً مجردةً عن الأجسام وما يُحيط بها من الزمان والمكان، مثل معاني الحرية والعدالة، والعزة والشرف والكرامة، وبه نحلل الأشياء ونصنفها، ونحكم عليها في أنفسها، وفي علاقاتها بالأشياء الأخرى.

وبعبارة أخرى: إنّ هذا الشيء هو الذي به نفكّر لنتعرّف على أنفسنا وعلى الأشياء التي تحيط بنا، وهذا الشيء هو العقل الإنساني الذي به يكون الإنسان إنساناً، وبه يتميز عن سائر الكائنات الأخرى ويتفوق عليها، بل ويسخرها جميعاً لمصالحه وأهدافه المختلفة.

ونعود مرة أخرى فنقول: إن عملية التفكير التي يقودها العقل البشري بجدارة، إنما هي وبكلّ بساطة مجرد حركة ذهنية في المعلومات الحاصلة لدينا، لننتقل بها من

المعلوم عندنا إلى المجهول المطلوب لنا، من أجل اكتسابه وتحصيله.

ومن هنا يتضح لنا أننا بالتفكير نكتسب العلم والمعرفة، وبالتفكير يتولد الفكر والرأي والاعتقاد، فالفكر وليد التفكير وحصاده. وبالتالي فإن التفكير الصحيح سينتج فكرا صحيحا وواقعيا.

والتفكير السقيم على العكس من ذلك،فإنه ينتج فكرا خاطئا ومريضا ينعكس بدوره ـ حتما ـ على سلوك الإنسان وممارساته اليومية، ويعين اتجاهه ومصيره في هذه الحياة وما بعدها.

ومن أجل ذلك كلّه كان على العاقل الباحث عن الطريق الصحيح، أن يتريث قليلا في حركته، ويتمهل في مسيره، ليقف بعض الوقت على هذا المحطة المصيرية في حياته، محطة التفكير، التي سينطلق منها لبناء فكره ورؤيته الكونية عن نفسه وعن العالم وعن نمط سلوكه في الحياة، فليتأن قليلا، ولا يعجل، فإن في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه الآن، هل هذه الحركة التفكيرية هي حركة عشوائية بين المعلومات للوصول إلى المطلوب، أم هي كأي ظاهرة طبيعية ـ كحركة الأرض والكواكب في هذا الكون ـ محكومة بقواعد وقوانين طبيعية واقعية صارمة تسير على هديها وتتحرك على أساسها؟

فلو ذهبنا إلى أنها حركة عشوائية غير منضبطة بأي قانون، وأن لكلّ إنسان أن يفكر بالطريقة التي تحلو له، فهذا سوف يؤدي بنا إلى إنكار وجود أي ميزان معرفي موضوعي صحيح يمكن أن نميز به الصواب عن الخطأ في التفكير، وبالتالي عدم إمكان تصويب أو تخطئة أي فكر أو رأي أو نظر، الأمر الذي يؤدي إلى انسداد باب التعليم والتعلم، وتعطيل البحث العلمي، وعبثية أي حوار فكري حول أي موضوع أخلاقي أو اجتماعي أو سياسي، وبالتالي فلا معنى لأن ندافع عن أفكارنا واعتقاداتنا أو نجاهد ونناضل في سبيل قيمنا ومبادئنا، وهذه هي السفسطة المطلقة التي لا يقبلها أي عاقل.

وللأسف الشديد فإن هناك الكثيرممن ينسب نفسه للفكر والثقافة يتبنى وجهة النظر هذه، ويذهب إلى النسبية في التفكير، دون الالتفات إلى ما يستلزم ذلك من العواقب الوخيمة التي يمكن أن تترتب على ذلك كما بينا.

وأما إن قلنا إن حركة التفكير ـ وإن كانت حركة إرادية ـ إلا أن لها قوانين طبيعية وموازين واقعية، إذا سارت على ضوئها والتزمت بضوابطها وشرائطها، فإنها تسلم من الخطأ وتصيب الواقع كما هو، بعيدا عن الأهواء والميولات النفسانية، والتأثيرات البيئية والضغوط الاجتماعية والمذهبية، وإن خالفتها وقعت في الخطأ وضلت الطريق، وسقطت في مستنقع الحيرة والقلق والاضطراب.

وبناء على هذا القول الثاني ـ وهو الصحيح ـ ينفتح

باب التعليم والتعلم، وينضبط البحث العلمي، ويكون هناك معنى للحوار الفكري والنقد البنّاء، ويصبح لدينا معتقدات وأفكار صحيحة وواقعية يمكن أن نتبناها، وقيم ومبادئ أخلاقية واجتماعية وسياسية أصيلة ومُحقة يمكن أن نؤمن بها ونجاهد في سبيلها.

ونحن إذا اعتقدنا بالقول الثاني ـ كما هو مذهب العقلاء ـ فعلينا أن نسعى جاهدين لنكتشف هذه القواعد الطبيعية الصحيحة لعملية التفكير عند العقل البشري، لكي نسير على هديها لنصل إلى بر الأمان وشاطئ الاطمئنان، فما هي تلك القواعد والقوانين يا ترى؟

## الفصل الثالث

## الإنسان ذلك الكائن المفكّر

لا شكّ أنّ الإنسان كائن مفكّر بطبعه، حيث إنّ التفكير هو من الخصائص الذاتية لكلّ إنسان كما بيّنا سابقاً.

وربّما يُوهم ذلك أنّ الإنسان ليس بحاجة إلى تعلّم قواعد التفكير طالما أنّه مفكّر بذاته، إلاّ أنّ هذا التوهّم يرتفع ببيان الفرق بين التفكير بوجه عام، وبين التفكير الصحيح. فالإنسان العربي مثلا يتكلّم اللغة العربية بحسب طبعه الاجتماعي في بيئته العربية التي نشأ وترعرع فيها، ولكن هناك فرق بين كونه يتكلّم العربية وبين نطقه العربية الصحيحة، فهو من أجل أن يُجيد النطق السليم واللغة الفصيحة يحتاج إلى تعلّم قواعد اللغة العربية، مع كونه عربياً.

فكذلك الإنسان فمع كونه مفكّراً بطبعه، إلا أنّه بحاجة ماسة لتعلم قواعد التفكير ـ إن أراد أن يفكّر تفكيراً صحيحاً ـ ولا يخفي على العاقل أولوية تعلّم قواعد التفكير على

قواعد اللغة العربية، حيث إنّ اللحن أو الخطأ في الكلام مع أنه قبيح عند أهل اللغة والبيان إلا أنّه ليس بخطورة اللحن والخطأ في التفكير، فإن الخطأ في التفكير يؤدّي إلى الخطأ والانحراف الفكري والسلوكي ممّا سوف يؤثّر تأثيراً سلبيّاً على مصير الإنسان في هذه الحياة وما بعدها.

**عملية التفكير:**

وقبل التعرّض إلى بيان هذه القواعد، ينبغي لنا أن نغوص معاً في أنفسنا لنكتشف أوّلاً طبيعة عملية التفكير في أنها كيف تبدأ؟ وكيف تنتهي؟ حيث يشكّل ذلك مقدّمة ضرورية مهمّة لاكتشاف قواعد التفكير الصحيح.

إنّ عملية التفكير تبدأ عند الإنسان عندما يواجه مشكلة علمية أو فكرية معينة مجهولة لديه، حيث يتعين عليه أن يحلّها ويتعرّف عليها كي ينال المطلوب، كمن سمع لفظاً معيناً كالملائكة؛ إذ لا يعرف معناه، فيسعى للتعرّف عليه ليتصوّر حقيقته في الواقع، أو كمن سمع خبراً معيّناً، كوجود حياة بعد الموت مثلاً، فيسعى للتأكد من صحة هذا القول، فيتسائل: أهل هو صحيح أم لا؟

هذه المواجهة مع المجهول تكون بمثابة الشرارة الأولى للبدأ في عملية التفكير، حيث ينطلق الإنسان من المطلوب معرفته أو إثباته، متجوّلاً بين المعلومات الحاصلة عنده، باحثاً عن المعلومات المناسبة للمطلوب، فيبحث عن المعلومات الرياضية للمطلوب الرياضي، والفيزيائية

للمطلوب الطبيعي، والفلسفية للمطلوب الفلسفي، وهكذا....

وبعد تجميعها يقوم بتشكيلها على صورة وهيئة مناسبة للمطلوب.

ويمكننا أن نضرب لذلك مثالاً مشابهاً بالمهندس الذي يُريد أن يبني بيتاً في الخارج، فهو بعد أن يتصوّر البيت المطلوب في ذهنه، يقوم أوّلاً بتجميع مواد البناء المناسبة للبيت من الأحجار والأخشاب، والحديد والأسمنت، وغيرها، ثمّ يؤلّف بينها ويرتبها على طبق الصورة أو القالب الذي في ذهنه ثانياً؛ لكي يتحصّل البيت في الخارج كما هو مطلوب منه.

ونحن إذا تأملنا سائر الصناعات المختلفة كصناعة السيارات والنجارة واللوازم المنزلية المختلفة وغيرها، لوجدناها تشترك جميعاً في هاتين الحركتين:

**الأولى**: في تجميع المواد الخام المناسبة للمطلوب.

**الثانية:** في ترتيبها على الصورة اللائقة حتى يخرج المصنوع إلى النور في صورته المطلوبة.

وكذا المفكّر، إلا أنّ الفرق بينهما في كون المواد الخام عنده ليست هي الأحجار أو الأخشاب أو الحديد، بل هي المعلومات الحاصلة عنده، وأنّ المطلوب منه ليس هو صناعة البيوت أو السيارات في الخارج، وإن كان هذا مسبوقاً بنوع من التفكير، إلا أنّ المطلوب الأعلى هو تشييد

صرح الفكر والمعرفة، وبناء رؤيته الكونية عن العالم والإنسان، وهو أفضل وأشرف الصناعات الإنسانيّة.

وقيمة كلّ مصنوع إنّما يكون من جهة مادته أو من جهة صورته، فكلّما كانت مادته أجود، وصورته أجمل وأفخم، كان سعره أعلى وأغلى، والعكس صحيح، كذلك الأمر في قيمة الفكر الإنساني، فكلّما كانت المواد المعلوماتية أدق وأشرف، والصورة الترتيبية لها أصح وأنسب، كانت قيمته العلمية والفكرية أعلى وأشرف.

وكما أنّ الخطأ أو العيب في الصناعات يقع من جهتين، إمّا من جهة المادة، حيث تستعمل مواد رديئة أو مغشوشة، وإمّا من جهة الصورة، حيث يتم ترتيب المواد على صورة مشوهة أو غير لائقة، كذلك الخطأ في التفكير إنّما يتصور أيضاً على وجهين؛ إمّا من جهة ضعف أو فساد المعلومات المنتخبة من قبل الإنسان، وعدم تناسبها مع المطلوب إثباته، وإمّا من جهة سوء الترتيب والتنسيق فيما بينها، حيث توضع المعلومات على صورة مضطربة أو مشوّشة.

ولذلك فقد مسّت الحاجة إلى صناعة فكرية عقلية، نتعلّم فيها كيفية انتخاب المعلومات المناسبة للمطلوب المجهول أوّلاً، ثمّ كيفية ترتيبها على الصورة الصحيحة ثانياً، وهذه هي قواعد التفكير الصحيح التي أشرنا إليها سابقاً.

وهذه الصناعة الفكرية هي صناعة المنطق، التي هي للفكر في الأذهان كالنحو للسان.

وهذه القواعد التي نتعلّمها في صناعة المنطق ليست مجرّد قواعد وقوالب جاهزة ومغلقة نتلقّاها بالتلقين، حتى يقول قائل إنّها مفروضة علينا، كما أنّها لا تعبّر عن وجهة نظر شخصية أو بيئية معينة، حيث توهّم بعض أو استظنّوا أنها قد تقادمت وانتهى مفعولها العلمي، فرفضوا تعميمها على الجميع.

بل هي قواعد فطرية واضحة وسهلة، تنطلق من المعلومات البديهية الأوليّة عند كلّ إنسان، وتنساق بسهولة ويسر إلى المعلومات الثانوية المبتنية عليها، لتؤسّس لنا قواعد متينة ورصينة وواضحة للتفكير الإنساني، فهي إذاً ليست مجرّد قواعد موضوعة ومفروضة على الذهن البشري، أو مجرّد وجهة نظر شخصية، بل قواعد مكتشفة بالأساليب العقليّة البديهية القطعية.

فكما اكتشف النحاة بالسماع والنقل قواعد اللغة العربية من لسان العرب الأوائل، واكتشف الأطباء فسيولوجية ووظيفة عمل أعضاء الإنسان، كالمخ والقلب والكبد بالمشاهدات القطعية، فقد اكتشف الحكماء منذ القِدم فسيولوجية وطبيعة عمل العقل الإنساني بالأساليب البديهية الأوليّة.

وفي ضوء ما تقدم، أردنا أن ننبّه على أهمية هذه القواعد التي دوّنت من قبل الحكماء السابقين تحت عنوان علم المنطق، بعد أن تعرّض هذا العلم الشريف على مرّ التاريخ وإلى يومنا هذا لأبشع أنواع الظلم والتشويه من

أعداء الإنسانيّة من السطحيين والمتحجرين المنتسبين إلى الدين، أولئك الراغبين في ترويج بضاعتهم المزجاة دون رقابة العقل، أو ممّن يسمونهم بفلاسفة الغرب المحدثين الذين لا اطلاع لهم حتى على المبادئ الأولية لهذا العلم. كما هو واضح من إشكالاتهم السخيفة الواهية.

هذا بالإضافة إلى زمر المشككين الماديين الانتهازيين الباحثين عن تأمين مصالحهم غير المشروعة، كالمحافل الماسونية والحركات الصهيونية المهيمنين على معظم المحافل العلمية والفكرية الكبرى في الغرب، والطامحين لبسط سلطانهم السياسي على المجتمعات البشرية، واستعباد الناس بعد تجهيلهم وتعطيل عقولهم.

ومن أراد التوسّع في تفاصيل معرفة هذه القواعد العقليّة، فليرجع إلى صناعة المنطق العقلي، حيث يجد الإنسان فيها راحة العقل، ويتعرّف على القواعد الصحيحة المطلوبة للتفكير، بنحو فطري وواضح ومتقن.

# الفصل الرابع
# اعتماد الفكر الصحيح على المنطق السليم

إذا أراد الإنسان العاقل أن يبني رؤيته الكونية حول الإنسان والعالم والمبدأ والمعاد، أو أراد أن يتبنّى أيّ معايير أخلاقية أو نظرية اجتماعية أو رؤية سياسية معينة، فمن الطبيعي جداً أن يستند في اعتقاده أو رأيه إلى دليل منطقي واقعي معتبر، لا إلى أهوائه الشخصية أو استحساناته الذوقية، ولا إلى أعرافه وعاداته وتقاليده الاجتماعية النسبية المتغيرة، كما يفعل أكثر الناس؛ لأنّ الاستناد إلى مثل هذه الأمور الشخصية أو الذوقية أو النسبية المتغيرة، هو السبب الرئيس في انحرافنا الفكِري وضياع الحقّيقة وابتعادنا عن الواقع الموضوعي، والعامل الأساسي في حصول الاختلافات الدينية والمذهبية، ووقوع النزاع والتناحر الأيديولوجي، الذي يهيئ الأرضية بدوره لإشعال الفتن والصراعات الاجتماعية والسياسية التي تهدّد الأمن القومي والاجتماعي.

والغريب! أن كلّ هؤلاء الذين ينحون هذا المنحى غير المنطقي يعتمدون على أدلّة ومبانٍ يعتبرونها مفروغة الصحة، بل غير قابلة للنقاش، مع كونها في الواقع غير واضحة ولا مُبيّنة بنحو منطقي، ويريدون أن يبنوا عليها كلّ آراءهم واعتقاداتهم، مع أن كلامنا معهم هو في المبنى والأساس، لا في البناء والأثاث، فيكونون كمن بنى قصراً على رمال أو بيتاً على شاطئ البحر.

ومن أجل ذلك، فقد نبّهنا في بداية الكلام على ضرورة تلمّس الطريق من بدايته،والتأكيد على أهمية معرفة المنطلق الصحيح،والأساس الأوّل الذي سنبني عليه رؤيتنا الكونية النظرية وأيديولوجيتنا العملية؛ لكي نشيد صرح المعرفة على أساس متين وراسخ.

والآن نعود مرة أخرى لنسأل أنفسنا عن هذا الأساس المنطقي الذي ينبغي لنا أن ننطلق منه، ونبني عليه.

فنقول: لو رجعنا إلى أنفسنا وتأملناها جيداً لوجدنا أنّنا نشعر بأنّ لنا ذاتاً موجودة وحيّة نُشير إليها بـ (أنا) وهذه الذات لها أفعال وانفعالات متعدّدة، حيث تُدرك الأشياء من حولها بأنحاء مختلفة، فتارةً تحسّ بها، وتارةً تتخيلها، وأخرى تتعقلها وتفكّر فيها، وتارةً تفرح بها وأخرى تحزن عليها، وهي تُدرك وتشعر بكلّ ذلك بنحو يقيني بسيط ومباشر لا يساوره شك ولا شبهة.

وهي مع كلّ إدراكاتها وإحساساتها الوجدانية البسيطة،

تُدرك وتعقل شيئاً آخر لا يقل يقينا عن إدراكاتها تلك، وهو أنّ وجود ذاتها وإدراكاتها لها، لا يجتمع مع عدم وجودها لها، حيث يستحيل أن تكون موجودة وغير موجودة، أو تُدرك الأشياء ولا تدركها في نفس الوقت، أو تكون سعيدة وغير سعيدة معاً، وهذه القضية التي يُدركها العقل بذاته يسمّيها المناطقة والحكماء بـ: امتناع اجتماع النقيضين.

وهى أولى الأوائل وأبده البديهيات وأساس كلّ علم!

أما كونها أولى الأوائل وأبده البديهيات، فلعدم إمكان إنكارها أو تكذيبها، حيث إنّ إنكارها يستلزم إثباتها، وتكذيبها يستلزم تصديقها؛ لأنّ نفس الإنكار أو التكذيب لا يجتمع مع عدم الإنكار أو عدم التكذيب، حيث إنّ المنكر لها يقول: إنّني منكر، ولا يمكن أن أكون غير منكر في نفس الوقت لاستلزام التناقض، وهذا هو نفس إثبات القضية التي أنكرها؛ وأمّا كونها أساس العلم؛ فلأنّ الذي يعتقد بشيء لا يمكن في الوقت نفسه أن يعتقد بنقيضه.

فالذي يعتقد بأنّ الأرض كروية لا يمكن أن يعتقد بأنّها غير كروية، وإلا لانتفى اعتقاده من الأصل، وبالتالي لا يمكن أن يحصل لنا أيّ علم أو اعتقاد إلا بعد الاعتقاد والتسليم بهذه القضية الذاتية الصدق والممتنعة الكذب.

وهذا الأصل العلمي الأول هو الذي نكتشف من خلاله صدق بقية الأصول العقليّة البديهية، كـ:

كون الكلّ أعظم من الجزء؛

وأن الشيء يمتنع سلبه عن ذاته؛

وأن الحوادث لها أسباب تخرجها من العدم إلى الوجود.

وغيرها من الأصول والمبادئ العقليّة البديهية، حيث يستلزم تكذيب هذه القضايا اجتماع النقيضين.

وهذه المبادئ البديهية هي التي يبتني عليها الدليل العقلي المنطقي المعتبر، والذي يسميّه الحكماء بالدليل العقلي البرهاني، وهو الذي يؤمّن لنا اليقين الصادق المطابق للواقع.

أمّا أنّه يؤمّن لنا اليقين؛ فلأنه ينطلق من قضايا بديهية واضحة في نفسها، وأمّا أنّه يؤمّن لنا الصدق؛ فلأنه يبتني على مبادئ بديهية ذاتية الصدق، بمعنى كون صدقها من ذاتها، لا كالتي يصدق بها عوام الناس لشهرتها بينهم أو لنقل الثقات عندهم لها، أو غير ذلك من الطرق غير المعتبرة عقلياً، والتي تكون في معرض الخطأ والتضليل.

ومن هنا، يتبين لنا أنّ هذه القضايا البديهية العقليّة الموضوعية المشتركة بين جميع الناس، هي الأساس الأول الذي ينبغي للعاقل أن ينطلق منه ويبني عليه، وأن الدليل العقلي البرهاني المبتني على هذه القضايا البديهية هو الطريق اليقيني الآمن والوحيد الذي ينبغي أن نبني رؤيتنا الكونية على ضوئه، حيث يقودنا بجدارة إلى الاعتقاد اليقيني الصادق، بنحو علمي موضوعي بعيداً عن الأهواء

الشخصية والضغوط والتأثيرات الاجتماعية والمذهبية التي يخضع لها معظم الناس، وتجعلهم في معرض الانحراف الفكري.

## الفصل الخامس

# الاتجاهات الفكرية المناوئة للمنهج العقلي وعواقبها الوخيمة

لقد اعتمد الحكماء في البحث عن الحقّيقة منذ القِدم على الدليل العقلي البرهاني كحاكم وحيد في إفادة اليقين الصادق في بناء رؤيتهم الكونية النظرية عن الإنسان والعالم، ثمّ أقاموا على أساس هذه الرؤية أيديولوجيتهم العملية في الأخلاق والسياسة، ودونوا كلّ ذلك في كتبهم بنحو منطقي متقن، ومتسلسل.

وهو ما سنتعرّض لبيانه بنحو مختصر بعد ذلك لاحقاً.

ولكن ما نُريد أن نشير إليه الآن هو: وجود ثلاثة اتجاهات فكرية مناوئة للمنهج العقلي، وقد خالفت الحكماء في منهجهم العقلي البرهاني على مرّ العصور، وذلك لدوافع عصبية أو فئوية أو سياسية ـ لا مجال لذكرها هنا ـ قد سلك أصحابها مسالك معرفية أخرى أوقعت البشرية في محن وأزمات كبيرة، وصراعات مؤسفة، ما زالت البشرية تعاني

منها ومن مآسيها، ويمكن الإشارة بنحو مختصر إلى هذه الاتجاهات الثلاثة:

**الاتجاه الأوّل:**

هو الاتجاه الحسّي الذي يعتمد المشاهدات والتجربة الحسية وسيلة وحيدة للتعرف على الواقع، ولا يؤمن بما وراء الحسّ، وبالتالي ينكر كلّ ما هو ممّا وراء الطبيعة من الغيبيات، ويتبّنى الرؤية الكونية المادية التي تنكر بطبيعة الحال المبدأ الإلهي والمعاد الأخروي، وتنظر إلى الإنسان على أنّه ذو طبيعة واحدة، وهي الطبيعة المادية الجسمانية.

وبناءً عليه، فهو يتبنّى ما ينسجم مع رؤيته المادية من الأيديولوجيات الوضعية غير الدينية: اليمينية أو اليسارية في الأخلاق والسياسة....

وهذا هو الاتجاه السائد في الغرب منذ قرون مديدة، والذي انعكست آثاره بشدة على العالم العربي والإسلامي مع بدايات القرن العشرين، على إثر البعثات العلمية للجامعات الغربية، حيث عاد بعض هؤلاء من المنهزمين أمام أنفسهم والمتشبعين بالثقافة الغربية المادية، والحاملين للشهادات العلمية العالية؛ ليروّجوا لهذه الثقافة المادية الجديدة.

لقد عاد هؤلاء إلى بلدانهم المستضعفة مبشرين ومنذرين، مبشرين بالحضارة الغربية الحديثة، واصفين كلّ من تابعها بالتمدن والعقلانية، ومنذرين من التصدّي لها أو رفضها، واصفين كلّ من خالفها بالتخلف والظلمانية.

والعالم الغربي وإن كان قد حقق الكثير من الإنجازات العلمية والتكنولوجية على المستوى المادي، إلاّ أنَه قد أوقع البشرية في مستنقع المادية والشهوات، وأضاع القيم والمبادئ المعنوية والإنسانيّة.

ويمكن الإشارة القصيرة إلى العواقب الوخيمة التي لحقت بالبشرية من وراء هذا الاتجاه المادي:

**أوّلاً:** شيوع الأفكار الإلحادية والاتجاهات المعرفية التشكيكية والنسبية، التي أوقعت الكثير من المفكرين والمثقفين في الحيرة والضلال، بعد ضياع الموازين العقليّة الضرورية.

**ثانياً:** تفشّي ظاهرة الانحلال الخلقي والتفكك الأسري، والأمراض النفسية.

**ثالثاً:** شيوع الجريمة المنظمة والإرهاب الدولي، وفقدان الأمن الاجتماعي.

**رابعاً:** سيطرة الأشرار والأنظمة السياسية المتغطرسة على العلماء، ومراكز البحث العلمي، وتوجيهها نحو إنتاج أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيمائية والبيولوجية، وتسخيرها بما يخدم مصالحهم غير المشروعة، وبما ينافي المصالح العليا للإنسانية.

**خامساً:** ظهور الحركات الإمبريالية الاستعمارية، التي نهبت ثروات الشعوب المستضعفة، ودمرت مقدراتها.

**سادساً:** إشعال الفتن والحروب الإقليمية والعالمية،

والتي قضت على الأخضر واليابس، وسفكت الدماء البريئة، وأهدرت الأموال والطاقات.

**الاتجاه الثاني:**

هو الاتجاه الديني النقلي السلفي الذي يعتمد على ظواهر النصوص الدينية فقط، بنحو سطحي جامد، وبقراءة سلفية ماضويّة مجرّدة عن أيّ نحو من التعقل أو الفهم العميق. وقد بنى رؤيته الكونية على هذا الأساس، فهو وإن آمن بالمبدأ الإلهي والمعاد الأخروي، وأن للإنسان حقيقة معنوية وراء طبيعته المادية، إلا أنّها كانت رؤية كونية ساذجة وقاصرة، رؤية سطحية وضحلة، وخالية من المعرفة الحقّيقية للعالم والحياة.

وقد انعكس ذلك على أيديولوجيته الأخلاقية والسياسية، حيث تبّنى أيديولوجية سطحية متشددة، يشوبها التعصب والتحجر.

ويمكننا أن نشير بنحو موجز إلى سلبيات هذا الاتجاه:

**أولاً:** تشويه صورة الدين لدى أكثر الناس، وتنفيرهم من التدين، بعد أن سلبوا الدين أعزّ وأجمل ما فيه وهو التعقل والتفكر، والتسامح والمحبّة.

**ثانياً:** العجز والتخلف عن مسايرة التطوّر العلمي والاجتماعي والحضاري، بعد جمودهم على ظواهر النصوص الدينية، والعيش بعقلية الماضي.

**ثالثاً:** ظهور الحركات الدينية التكفيرية المتطرفة، وانتشار ظاهرة الإرهاب، وتأجيج الصراع والتناحر الطائفي.

**رابعاً:** دعم الاستبداد السياسي الديني، وإضفاء الشرعية على الأنظمة السياسية الجائرة المتلبسة بالدين، ومحاربة حركات التحرر والإصلاح والتغيير.

**الاتجاه الثالث:**

وهو الاتجاه الصوفي الذوقي، الذي يعتمد على القلب والذوق الوجداني الباطني في كشف الواقع، بعيداً عن التعقل والتفكر، وهو بطبيعة الحال بعد ابتعاده عن الموازين العقليّة، يتبّنى رؤية كونية روحانية دينية مفرطة عن الإنسان والعالم، وأيديولوجية انعزالية على المستوى الأخلاقي والسياسي. ومن العواقب السلبية لهذا الاتجاه:

**أوّلاً:** شيوع البدع والخرافات في الاعتقادات.

**ثانياً:** تفشي ظاهرة الدجل والاحتيال، والإدعاءات الكاذبة للمقامات الروحية.

**ثالثاً:** غلبة الانعزال والانطواء السلبي، وإسقاط المسؤولية الاجتماعية.

**رابعاً:** تخدير الشعوب، ومنعها من الثورة والنهوض في وجهة الأنظمة السياسية الفاسدة.

وهذه الاتجاهات الثلاثة كانت وما زالت تلقى كلّ الدعم من الأنظمة السياسية الجائرة والفاسدة في الشرق

والغرب، حيث تقاطعت مع مصالحها غير المشروعة، فعملت على تسخيرها وتوجيهها بأساليب متعددة، بما يخدم أهدافها المشؤومة.

وللإنسان العاقل أن ينظر بعقله إلى ما يدور حوله في هذا العالم ليكتشف هذه الحقّيقة المرة بكلّ سهولة، وهو أن كلّ ما نُعانيه من مشاكل وأزمات وتخلف، إنّما يرجع إلى هذه الاتجاهات الثلاثة، ومن يقف ورائها من الأنظمة السياسية الفاسدة.

## الفصل السادس

## ضعف المنهج المعرفي أساس الانحراف الفكري

لقد تبيّن لنا ممّا تقدم، أنّ البداية الصحيحة التي ينبغي أن ينطلق منها الإنسان العاقل لبناء معالم رؤيته الكونية النظرية حول الإنسان والعالم، ورسم معايير أيديولوجيته العملية في الأخلاق والسياسة، هو أن يشرع أوّلاً في البحث عن الوسيلة المعرفية الصحيحة والأمينة، التي يعتمد عليها في التعرف على الواقع بنحو علمي موضوعي.

ونحن إذا أردنا أن نتعرّف على السبب الرئيسي في انحراف الاتجاهات الثلاثة التي أشرنا إليها في الفصل السابق، والتي جلبت الويلات للبشرية منذ بداية التاريخ وإلى يومنا هذا، فسوف نجده في عدم اعتماد الوسيلة المعرفية المناسبة في بناء رؤيتهم الكونية وأيديولوجياتهم العملية.

ومن أجل بيان ذلك فسوف نتعرّض هنا باختصار إلى وسائلهم المعرفية التي اعتمدوا عليها لكي يتّضح لنا أوجه

الخلل والقصور فيها.

فنقول: أمّا الاتجاه الأوّل الذي اعتمد المشاهدات الحسية كوسيلة وحيدة للمعرفة الكونية.

فإننا نؤكّد له أنّ الحس وإن كان ناقلاً أميناً للمعلومات الخارجية كما يعتقد الحكماء، إلا أنّه لا يُدرك إلا ظواهر الأجسام الطبيعية، كالألوان والأشكال وسائر المحسوسات المادية التي يتّصل بها الحسّ مباشرة، ولا يُدرك حقائقها وأسبابها الباطنية، فضلاً عمّا وراء الطبيعة.

فالحس إذاً، يُدرك ظواهر عالم الطبيعة لا غير، ولا يُدرك بواطنه وحقائقه الذاتية، فضلاً عن عالم ما وراء الطبيعة.

كما أنّ الحس لا يدرك القضايا البديهية الأولية، كامتناع اجتماع النقيضين، واحتياج كلّ ظاهرة حادثة في العالم إلى سبب (قانون العلية)، وغيرها من البديهيات العقليّة التحليلية غير المدركة بالحسّ. وهي قضايا تعتبر من أسس العلم والمعرفة، وقد أشرنا إليها قبل ذلك، وبدونها ينتفي أصل العلم والمعرفة.

فالحاصل أن الإصرار على اعتماد الحس دون غيره من الأدوات المعرفية، والتنكر لكلّ ما هو غير محسوس، واعتباره من مقولة الوهم والخرافة، هو محض تحكم وتعسف لا أساس له، يؤدّي بنا إلى التشكيك والسفسطة، وإلى حرمان البشرية من الإطلاع على العوالم الغيبية، التي

على رأسها حقيقة الإنسان، والمبدأ الإلهي الأول للوجود، كما يجرّنا إلى الاستخفاف بالقيم المعنوية الدينية والأخلاقية، الأمر الذي أوقع البشرية في دوامة الحيرة والضلال، وأغرقها في مستنقع المادية والشهوات.

أمّا الاتجاه الثاني الذي اعتمد على ظواهر النصوص الدينية كأساس معرفي وحيد له، فنذكّره فقط بأنّ النصوص الدينية لا يمكن أن تكون منطلقاً معرفياً للإنسان الباحث عن الحقّيقة ـ مع كلّ تقديرنا وتقديسنا لها ـ حيث إنّها تأتي في مرتبة متأخرة في السلم المعرفي للإنسان؛ لأنّها تحتاج إلى من يثبت صحتها أوّلاً، وصحة طرق التعامل معها ثانياً.

وبعبارة أخرى: أن الذي يعتمد على النصّ الديني، ينبغي له أن يُثبت لنا ولنفسه أولا وجود مبدأ إلهي حكيم مدبّر للوجود، وأنَه ثانيا قد أرسل لنا الرسل والأنبياء بالرسالة الإلهية، وأنزل الكتب السماوية من أجل هداية الناس، وهو جامع الناس بعد ذلك ليوم القيامة ليحاسبهم على أعمالهم، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء.

ثمّ إنّ هناك أديان وملل ونحل كثيرة كلّها تدعّي أنها إلهية وسماوية، وداخل كلّ دين مذاهب متعددة تدعى هي الأصيلة التي تمثل هذا الدين، وفي كلّ مذهب هناك قراءات متعددة تدعّى أنّها هي القراءة الصحيحة لهذا المذهب.

فعلى الذي يعتمد على النص الديني أن يُثبت لنا أوّلاً صحة هذا الدين، وصحة هذا المذهب المنتسب إليه النصّ،

وصحة هذا الفهم وهذه القراءة للنص.

ومن هنا يتبين لنا أن القفز على كلّ هذه المراحل المعرفية، وعدم الإجابة على كلّ هذه الأسئلة المنطقية التي لا مفرّ منها، واللجوء المباشر للنصّ، وتفسيره بنحو شخصي أو ذوقي، ومحاولة فرضه على الآخرين، هو أمر مجاف للواقع، ومغامرة خطيرة تجعل الإنسان في معرض الانحراف العقائدي، والفهم الخاطئ للدين، وتدفع بنا إلى الوقوع في أتون الفتن والصراعات المذهبية، كما هو واقع بالفعل.

وأمّا بالنسبة إلى الاتجاه الثالث الذي اعتمد على القلب والذوق الوجداني، كأداة معرفية وحيدة وفريدة وتنكر للعقل، واعتبره حجاباً عن الوصول إلى الحقّيقة، ومع احترامنا الشديد أيضاً للحالات المعنوية الإيمانية، والعرفانية للمؤمنين الصادقين إلاّ أنّنا ننبّهه على أن الميزان المعرفي ينبغي أن يكون ميزاناً علمياً موضوعياً مشتركاً بين الناس، وليس ميزاناً ذوقياً شخصياً يخضع للأمزجة والمشاعر والأحاسيس الوجدانية، والتي غالباً ما تكون مجهولة المنشأ والهوية، حتى بالنسبة للشخص نفسه.

ولا يخفى على العاقل أن فتح باب الذوق والوجد، والتأويلات الباطنية الغامضة كطريق وحيد أو أساسي للمعرفة، سوف يؤدّي إلى فتح الباب على مصراعيه أمام دخول الخرافات العقائدية، ورواج سوق الدجل والشعوذة، وفقدان التوازن العلمي والمعرفي بالكلّية، والدخول

بالإنسان والمجتمع البشري في نفق مظلم لا نهاية له.

ومن هنا يظهر لنا أنّ أساس المشاكل التي تواجهنا وتواجه هذه الاتجاهات الفكرية، يكمن في منهجها المعرفي الذي اعتمدت عليه في بناء رؤيتها الكونية النظرية وأيديولوجيتها العملية المتفرعة عليها في الأخلاق والسياسة، والتي انعكست بدورها على ممارساتها العملية داخل المجتمع.

وما لم تُحلّ هذه المشاكل من جذورها فلن يجدي أيّ حوار فكري أو أيديولوجي مع هذه المدارس والاتجاهات المتباينة، وستظل تنخر في عظام الأمّة وتثير الفتن والصراعات تحت عناوين متعدّدة.

# الفصل السابع
# عودة إلى طريق الحكمة والعقل

والآن بعد أن فرغنا من بيان أحوال الاتجاهات الثلاثة المناوئة للمنهج العقلي، والإشارة إلى أوجه الخلل والقصور في مناهجهم المعرفيّة التي اعتمدوها، وبنوا عليها مذاهبهم الفكرية المختلفة، فيمكننا أن نعود إلى طريقة الحكماء والعقلاء الذين اعتمدوا المنهج العقلي البرهاني الصحيح في التعرف على الواقع، وتشييد صرح المعرفة الإنسانيّة على المستويين النظري والعملي على أساس متين ورصين، وسوف نتعرض لبيان معالم هذا الصرح المعرفي بنحو كلّي مختصر يناسب مقام البحث، فنقول:

## أوّلاً: رؤيتهم الكونية

١. المبدأ الإلهي للكون: لقد أثبت الحكماء بالبراهين القطعية وجود مبدأ إلهي حكيم وعادل، وهو بكلّ شيء عليم، وعلى كلّ شيء قدير، وجامع لجميع

الكمالات الوجودية، وخلق هذا العالم بلطفه وعنايته على أحسن صورة ممكنة، وهو غني عنه.

٢. العالم: أثبت الحكماء أنّ صورة عالم الوجود على نحوين، عالم الغيب المجرد عن المادة، وهو عالم ما وراء الطبيعة، وعالم الشهادة الذي هو عالمنا هذا، وهو عالم الطبيعة والموجودات المادية، وأنّ عالم الغيب هو الحاكم على عالم المادة، والمدبر له بإذن ربّه.

٣. الإنسان: أثبت الحكماء أيضا ببراهين متعددة، أنّ الإنسان نسخة مصغرة من عالم الوجود، فهو مركب من بدن مادي عنصري وروح عاقلة مجرّدة عن المادة في ذاتها وقد تعلقت بالبدن في أفعالها، وأنّ الروح تمثلّ حقيقة الإنسان الباقية بعد الموت، وأنّ البدن ليس إلاّ وسيلة ومركب لاستكمال الروح.

وقد اقتضت العناية الإلهية أن يستكمل الإنسان بأفعاله الاختيارية، وروح الإنسان تستكمل عن طريق التعليم، بتحصيل العلوم والمعارف الحقّيقية الصادقة، والتخلّص من الاعتقادات والمعارف الوهمية الباطلة، وتستكمل أيضاً عن طريق التربية والتأديب بالتحلّي بالفضائل الأخلاقية السامية، والتجرّد عن الرذائل الأخلاقية الفاسدة.

إذاً، فكمال الإنسان وحياته الحقّيقية بالتربية والتعليم.

٤. المعاد: بعد ثبوت تجرد النفس وبقائها بعد الموت، فإنّ للإنسان عودة إلى بارئه ليحاسبه على أعماله في الدنيا، ليثيب المحسن ويعاقب المسيء؛ لأنّ هذا هو مقتضى الحكمة والعدالة الإلهية.

ويعتقد الحكماء بأن الجزاء من لوازم العمل، فالاعتقادات الحقّة والفضائل الأخلاقية الحاصلة بالأعمال الصالحة تقتضى الثواب، كما يقتضي الدواء الصحة والشفاء، والاعتقادات الباطلة والرذائل الأخلاقية المكتسبة بالأعمال الفاسدة تقتضي العقاب، كما تقتضى الجراثيم الأمراض.

## ثانياً: نظريّتهم في الأخلاق

يعتقد الحكماء ـ كما تبيّن في علم النفس الفلسفي ـ أنّ هناك في البدن غريزتين حيوانيتين لحفظ البدن، وهما: الشهوة والغضب؛ فالشهوة لجلب النفع للبدن، والغضب لدفع الضرر عنه.

وقد وضعهما البارئ تعالى بعنايته وحكمته تحت سلطة العقل، ليتحكم فيهما ويوجههما بالنحو الذي لا ينافي الكمال الروحي والمعنوي للإنسان.

ولذلك يعتقد الحكماء بأن القيم والفضائل الأخلاقية إنما هي وسط بين الإفراط والتفريط، فالشجاعة ـ مثلا ـ وسط بين الجبن والتهور، وكذلك سائر القيم الأخلاقية. وأنّ غاية الكمال الأخلاقي للإنسان هو الوصول إلى حالة الوسطية والاعتدال قي جميع أحواله، وهو المسمى عندهم

بـ: (ملكة العدالة والاستقامة).

## ثالثاً: نظريتهم الاجتماعية

يرى الحكماء أنّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، بمعنى أنّ كماله يتحقّق ويتمّ بالاجتماع، لا بالعزلة والانطواء. وأنّ الهدف من دخوله للمجتمع هو الاستكمال المعنوي والمادي معاً، وليس الاستكمال المادي فقط، كما هو في المجتمعات الغربية، بل الاستكمال المعنوي عندهم مقدم على الاستكمال المادي؛ لأنّ ذلك يطابق رؤيتهم الكونية عن الإنسان في كونه مركباً من بدن وروح، وأنّ روحه تمثّل حقيقته الباقية.

## رابعاً: نظريّتهم السياسية

لقد عرّف البعض السياسة بأنها السلطة والحكم.

وبالتالي يكون العمل السياسي هو الذي يؤدّي بنا إلى الوصول إلى السلطة، والحفاظ عليها بعد الوصول إليها. وهذا المعنى للأسف هو الشائع بين الساسة والمعروف عند الناس، ممّا أصبح مقترناً وملازماً للميكافيللية الانتهازية والبراجماتية النفعية، التي لا تراعي إلا مصالح الفئة الحاكمة.

وأمّا المعنى الصحيح لمفهوم السياسة الوارد عند الحكماء هو: إدارة وتدبير المجتمع بما يؤمن مصالح أفراده جميعاً.

فليس الهدف من تشكيل الحكومة هو التنعم بالسلطة، والاستبداد بها، بل إقامة العدالة الاجتماعية، ومساعدة الناس على الوصول إلى كمالاتهم المعنوية والمادية، والتي من أجلها قد دخلوا إلى المجتمع، وأقاموا نظامهم الاجتماعي والسياسي.

والغرض من ذلك كلّه هو بيان أهمية المنهج المعرفي الذي يشكلّ المنطلق لنا في بناء رؤيتنا الكونية وأيديولوجيتنا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، حتى يتم تحرير محل النزاع بنحو دقيق وصحيح من جهة، وتمييز الطريق الصحيح عن غيره من جهة أخرى.

## الفصل الثامن

## تشكيل الحكومة العقليّة للخروج من المحنة

في هذا الفصل، نودّ أن نشير إلى موضوع تشكيل الحكومة العقليّة التي تمثّل لنا المخرج الحقّيقي والواقعي من هذه المحنة الكبيرة التي نعيشها؛ وذلك بعد أن تبيّن لنا أنّ أصل المشاكل التي نُعاني منها مرجعها إلى غياب العقل عن حياتنا الاجتماعيّة والسياسيّة، وسيطرة الاتجاهات غير العقليّة على مقاليد الأمور تحت شعارات كاذبة وعناوين مضللة بعيدة عن الواقع من أجل خداع الناس والتسلط عليهم.

ولعلّ عنوان الحكومة العقليّة يُوهم في البداية أنّه مشروع إقصائي يحاول إلغاء وإقصاء سائر المناهج المعرفية والاتجاهات الأخرى الموجودة بالفعل، كالاتجاه المادي العلماني، والديني، والعرفاني الصوفي.

والواقع ليس كذلك على الإطلاق، ونحن نعذر من يتوهّم ذلك؛ لأنّ هذه الاتجاهات كلّها اتجاهات إقصائية لا

ترى إلا أنفسها. وهذا أمر طبيعي بعد التمردّ على حكومة العقل، التي هي ميزان الاعتدال والوسطيّة، حيث لا يبقى أمام الإنسان إلا الوقوع في مستنقع الإفراط أو التفريط.

ونحن عندما نتكلّم عن حكومة العقل، لا يعني بذلك تفرّد العقل واستبداده بالحكم مطلقاً؛ بل بمعنى أن يقوم هو بتشكيل الحكومة بالاستعانة بالأدوات والقنوات المعرفية الأخرى، كالحسّ والتجربة والنصّ الديني، والقلب. فهؤلاء هم وزراؤه وأعوانه الذين يُدير بهم المجتمع البشري، كما يُدير بهم مملكة الإنسان في نفسه.

وهذا يحتاج إلى نحو من البيان التفصيلي.

فنقول: إنّ العقل البرهاني الذي يفيدنا اليقين الصادق، له حريمه الخاص الذي يحكم فيه بنفسه بنحو مستقل عن سائر الأدوات الأخرى، وله حدوده التي يعرفها بحكمته ويرسمها لنفسه، ويرسم أيضاً حدود الأدوات المعرفية الأخرى؛ ولذلك فهو المنطلق الذي ينبغي للإنسان العاقل أن ينطلق منه، وهو الذي ينبغي أن نبني على أساسه رؤيتنا الكونية الكلّية عن الإنسان والعالم والمبدأ والمنتهى بنحو يقيني وصادق، حيث يقع ذلك كلّه في حدود مملكته الخاصة، وقد سلف منا بيان ذلك كلّه.

وهذه الرؤية الكونية تمثل القاعدة الفكرية والعقائدية الأولى التي نؤسّس على ضوئها أيديولوجيتنا العملية في الأخلاق والسياسة.

فهذه الرؤية الكونية بمثابة مقدمة الدستور الذي سننظم حياتنا الفردية والاجتماعية والسياسية على أساسه؛ لأنّ القيم الأخلاقية والحقّوق الاجتماعية والنظام السياسي إنّما تنطلق من هذه الرؤية الكونية العامّة.

وبعد تأسيس العقل لقواعد الرؤية الكونية بنفسه، يبدأ بالاستعانة بالأدوات المعرفية الأخرى لاستكمال منظومته المعرفية في الحياة بنحو مترابط ومنسجم.

ففي مجال استكشاف أسرار الطبيعة، ومعرفة الأسباب القريبة للظواهر الكونية الطبيعية في عالم المادة، من أجل تسخير الطبيعة لمصلحة الإنسان، يستعين العقل بالحسّ والتجربة العلمية التي أخذت مبادئها الكلّية منه، حيث لا يمكن للعقل أن يستكشف ظواهر هذه الأمور الطبيعية بنفسه.

ولكن في ظل حكومة العقل، ستبقى التجربة الحسية في حدودها الطبيعية التي لا تتعداها، وهي الظواهر الطبيعية المادية فحسب، ولا تتخّطاها إلى البحث عن عالم ما وراء الطبيعة الغائب عن الحس، حيث إنّ هذا العالم يقع في حريم العقل البرهاني، ولا سبيل للحسّ أو التجربة الحسيّة إليه.

كما سيتم في ظل هذه الحكومة العقليّة الرشيدة تحرير العلماء والمراكز العلمية من مخالب قوى الشر السياسية التي تسخرها لمصالحها الشريرة من أجل الهيمنة

على الشعوب ومقدراتها، وحينئذ ستسخر الانجازات العلمية لخدمة المصالح العليا الإنسانيّة، في بعديها المادي والمعنوي بما يطابق الرؤية الكونية العقليّة الواقعية.

أما في مقام تعيين الحقّوق والواجبات الفردية والاجتماعية والسياسية، فالعقل يُدرك بنفسه وجوب العدل بين الناس، وإعطاء كلّ ذي حق حقه، ولكن لا يمكنه أن يعلم بنفسه، تفاصيل هذه الحقّوق، كحق الأخ والأخت والزوجة، والأب والأمّ في الميراث مثلاً، أو سائر الحقّوق المالية، وكذلك القوانين الجزائية وغيرها.

ولكن العقل بناء على رؤيته الكونية في وجود مبدأ إلهي حكيم، يعتقد بأنّه تعالى بما هو خالق الإنسان ومدبره، فهو أعلم بما يستحقه من حقوق، وما يؤدّيه من واجبات تجاه الآخرين، تماماً كأيّ صانع لجهاز معين، حيث يكون هو الأعلم بما يحتاجه هذا الجهاز وبما يصلحه أو يفسده.

وفي النتيجة فإنّه تعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ولا ينهي إلا عن ما فيه مفسدة للإنسان والمجتمع؛ ولذلك فإنّ العقل يُدرك بنفسه أن الأحكام الشرعية الصادرة من الباري تعالى إنّما هي أحكام تكشف عن الحقّوق والواجبات الواقعية للإنسان؛ ولذلك يعتبر الحكماء هذه الأحكام تشريفاً للإنسان وليست مجرد تكليف؛ لأنّ البارئ تعالى لما تعلقت إرادته التكوينية باستكمال الإنسان باختياره، تعلّقت إرادته التشريعية بأفعاله الاختيارية من أجل هدايته إلى طريق الكمال الحقّيقي.

وليس لأي إنسان أن يعين هذه الحقّوق والواجبات بنفسه، حيث لا سبيل للعقل البشري إلى تفاصيلها. والعقل السليم الذي هو الحاكم في مملكة الإنسان يعرف نفسه وحدوده جيداً، ولا يتجاوزها، فهو يضع بحكمته الأمور في مواضعها الطبيعية.

وأما بالنسبة لمسألة السلوك العرفاني عند الصوفية، فالعقل السليم لا يرفض هذا السلوك والتكامل المعنوي، طالما كان في الحدود المقبولة عقلاً وشرعاً، ولم يؤدِ إلى الانعزال والانطواء عن المجتمع والتخلّي عن المسؤولية الاجتماعية، وبشرط أن يكون تحت إشراف العقل وموازينه، وبعيداً عن الشطحات والإدعاءات الفارغة حتى لا ينفتح الباب أمام الدجالين والمحتالين من الأدعياء الذين هم من موانع السلوك، وشياطين الطريق.

## توصيات عقلية في نهاية المسيرة الفكرية

وفي ختام المسيرة الفكرية للخروج من محنتنا الإنسانيّة، وبعد اكتشاف بداية الطريق التي ينبغي أن ننطلق منها، وهي البداية التي اكتشفها العقل الفطري السليم على أساس قواعده الرصينة والمتقنة، ورسم لنا معالمها الكلّية، أرى من النافع أن نختم ببعض التوصيات المهمة للجهات المعنية المختلفة، لعلها تفيق من سباتها وتنهض بمسؤوليتها تجاه أمتها:

### الأولى: إلى المراكز الفكرية والفلسفية الغربية المعاصرة

نأمل من هذه المراكز أن تراجع حساباتها في طبيعة تعاطيها مع المنهج العقلي، وأن تتخلى عن نظرتها السطحية والسلبية للمنطق العقلي، منطق الفطرة الإنسانيّة.

كما نأمل أن تقف وقفة جدية لتقييم مسيرتها الفكرية التي قامت على أساس المنهج الحسي طيلة قرون، وما استتبع ذلك من فوضى معرفية ومشاكل ومفاسد أخلاقية واجتماعية وسياسية.

كما ونرجو منها أن تكفّ عن تصدير السفسطات والتشكيكات، وإظهار وجهات النظر غير العلمية أو غير التخصصية تحت عناوين مختلفة، كالنسبية والتعددية، والبنيوية والديالكتيكا والهرمونيطيقا وغيرها من التحكمات الفكرية التي لا تبتني على أيّ قانون معرفي أو أساس منطقي، حيث يخرجون علينا في كلّ يوم بموديلات فكرية جديدة كلّ واحدة منها تنقض التي قبلها،وكأنه عرض أزياء.

فتارة يتكلّمون عن الحداثة، وأخري عما بعد الحداثة، وما بعد بعد الحداثة.... وهكذا دواليك، ولا ندري متي تنتهي هذه الفوضى المعرفية والمهزلة الفكرية المتعمدة؟ وعلى أيّ حال سوف تستقر؟!

ونحن لا نستبعد وقوف المحافل الماسونية وقوى الشر في الغرب وراء أكثر هذه النظريات المخالفة للعقول السليمة، والمشتتة للأذهان بهدف إيقاع الناس والمثقفين الذين يلهثون وراءهم في الحيرة والضلال، وشلّ عقولهم بالكلّية بعد بث روح اليأس في نفوسهم من الوصول إلى أيّ حقيقة علمية أو فكرية، بحيث يزهد الناس بعد ذلك في الفكر والتفكير، ويلهثون وراء شهواتهم ومصالحهم الشخصية، وحينها يتمكن هؤلاء من السيطرة عليهم وتسخيرهم لخدمة مصالحهم غير المشروعة.

فنحن نأمل فيها كمراكز علمية أكاديمية مشهورة أن تتحرّر من هذه الدوامة الفكرية، وألا تخوض في مباحث فكرية بدون قواعد معرفية أو أصول منطقية، وأن تتخلى

عن أسلوبها اللا منهجي في المباحث العلمية، والتي تتعلق بالمسائل الإنسانيّة والمعنوية والمصيرية الخطيرة بلا أيّ ضابط منطقي، حتى صارت مباحثهم الفلسفية مباحث ذوقية استحسانية، لا تبتني على أصول علمية منضبطة، ولا تحتكم إلى أي معيار منطقي عقلي، ممّا أوقعها في الحيرة والتخبط والفوضى الفكرية.

فندعوهم إلى اعتماد المنهج العقلي البرهاني للخروج من هذه الأزمة الفكرية التي وقعت وأوقعت العالم فيها، واتخاذ سبيل التحرر من ربقة المنهج الحسي الذي جعل عقولهم حبيسة عالم الحس والطبيعة، وحجبها عن رؤية عالم الحقّائق والمعنى، وأغلق دونها منافذ الرقي والكمال، الأمر الذي أدى إلى الاستخفاف بالقيم الأخلاقية والدينية والمبادئ الإنسانيّة.

**الثانيــة: إلى المثقفــين والمفكريــن المتأثريــن بالثقافــة الغربيــة مــن العــرب والمســلمين**

على العرب والمسلمين أن يعرفوا أنّ ما بين أيديهم من التراث، هو تراث عظيم لا ينبغي لهم التفريط به، ونعني بذلك التراث الفلسفي العقلي والإسلامي، كما نتمنى أن يتنبهوا إلى خطورة مشايعة الغرب في أطروحاته الفكرية، وأن لا ينخدعوا ببريق شعاراته التي غالباً ما ينضوي ورائها أغراض خبيثة يُراد منها السيطرة على عقول الشعوب، ومن ثمّ ثرواتهم.

والعالم والتاريخ الحديث خير شاهد على ما خلفته شعاراتهم البراقة من ويلات على البشرية، فكم حيكت تحت مسمى الحرية والديمقراطية من المؤامرات واندلعت من الحروب التي لم تخلف ورائها إلا مشاهد مأساوية يندى لها جبين الإنسانيّة؟

فيا أيها المفكّرون والمثقّفون من العرب والمسلمين لا تسمحوا لأنفسكم أن تكونوا معابر وجسوراً لمخططات الغرب الاستعماري، عبر عناوين خدّاعة من قبيل الحداثة والتقدم والحرية والفكر والثقافة وما إلى ذلك؛ فإنّ التاريخ لن يغفر لكم ذلك.

فعليكم أن تكونوا على حذر شديد من تسويق ثقافات وقيم تنطوي تحتها هذه العناوين، حيث لا تخدم إلا أعداء الإنسانيّة وأعدائكم. ومن هذا المنطلق يرجى منكم أن تعيدوا قراءة تراثكم الفكري الفلسفي الإسلامي لا عن طريق نظارة المستشرقين من الغرب والسطحيين من الشرق، بل على أيدي متخصّصين لتتعرّفوا بشكل واقعي على تلك الكنوز العظيمة التي ترفع من قيمة الإنسان.

**الثالثة: إلى المدارس والجامعات في الدول العربية والإسلاميّة**

على المسؤولين التعليميين والتربويين المحترمين في وزارتي التربية والتعليم، وكذا التعليم العالي أن يتنبهوا إلى أن المنهج التعليمي والتربوي في جميع المدارس

والجامعات والمفروض من قبل منظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات الغربية، هو المنهج الحسي التجريبي الجديد الذي وضع أساسه (فرنسيس بيكون) و(جون لوك) وغيرهم من المفكرين الغربيين الماديين، وهو ينافي المنهج التعليمي العقلي الفلسفي والإسلامي الأصيل في المنهج والغاية، حيث يعتمد المنهج الحسي السطحي الاستقرائي.

ويهدف إلى تسخير الطبيعة للمنافع الإنسانيّة المادية لا غير، ولا يُقيم أيّ وزن للقيم المعنوية للإنسان.

فالمنهج التعليمي المعاصر لا يعتني إلا بالعلوم الطبيعية والرياضية، ولا يعتمد فيما يسميه بالعلوم الإنسانيّة إلا على المنهج الحسي الاستقرائي الذي لا يترشّح عنه إلا الفكر المادي والعلماني المقابل للفكر العقلي والديني، كما أنّ النظام التعليمي فارغ تماماً من علم المنطق الذي ينظم عملية التفكير وقواعده التي هي أهمّ بكثير من قواعد اللغات، وكذا خالٍ من أوليات العلوم العقليّة، التي هي أساس العلوم الإنسانيّة والدين الإسلامي المبين، والتي تمّ التعامل معها كتراث تاريخي، موضوع على رفوف متاحف التاريخ.

وقد تمّ الاكتفاء في مجال المعرفة الدينية بتدريس بعض النصوص والقصص الدينية بنحو سطحي وهامشي لا يسمن ولا يغني من جوع، الأمر الذي كان له أكبر الأثر السلبي على نفوس أبنائنا، ومسخ فطرتهم العقليّة وهويتهم الدينية والثقافية واستبدالها بالهوية المادية السطحية، حتى

رأينا ذلك بوضوح في شخصية شبابنا العربي والمسلم في الجامعات، ولمسنا معاناتهم من الأمية الفلسفية والدينية الشديدة، وطغيان النزعة الحسية المادية والثقافة الغربية البعيدة عن تراثنا وثقافتنا الإسلاميّة على الكثير منهم، بل أثّر ذلك حتى على الثلة القليلة المتدينة هناك ممّن يتلبسون بظواهر الدين وهم أبعد ما يكون عن محتواه وحقيقته.

والحلّ لا يكمن فيما يسميه البعض بأسلمة العلوم والمدارس والجامعات؛ من خلال تكثيف الدروس والمعارف الدينية أو تعميم المظاهر الإسلاميّة لاغير، بل الحلّ يكمن في معالجةٍ جذرية للمنهج التعليمي والتربوي وتصحيح الغاية من طلب العلم الذي هو الهداية، وبناء الرؤية الكونية العقليّة الصحيحة والواقعية، وبناء المدينة الحرة الفاضلة والعادلة، ولا يكون ذلك إلا بإدخال العلوم العقليّة من المنطق والمعرفة والفلسفة العقليّة في كافة المراحل الدراسية كمنهج أساسي، وبأسلوب يتناسب والمرحلة العمرية للدارسين؛ حتى تتكون لدى أبنائنا رؤية كونية صحيحة عن الواقع، وعن الدين الإسلامي المبين، وحينها سوف يأخذ الدين موقعه المناسب في المجتمع، وتأخذ العلوم الطبيعية والرياضية مسارها الصحيح في خدمة المصالح العليا للإنسانية في بعديها المادي والمعنوي، وإقامة الحضارة البشرية الحقّيقية على طبق الحكمة والعناية الإلهية.

**الرابعة: إلى المدارس والمعاهد العلمية الدينية في العالم العربي والإسلامي**

نأمل منها كحصن منيع من حصون الإسلام أن تبذل اهتماماً كبيراً بالعلوم العقليّة كاهتمامها بالعلوم الشرعية، وتضعها في مقدمات مناهجها العلمية؛ لأنها تشكل أساس العقيدة الإسلاميّة الصحيحة، وأن تتجنّب بشدة المسالك الكلامية الجدلية والنقلية في مباحثها العقائدية.

فتدريس المنطق والمنهج العقلي والفلسفة العقليّة الإسلاميّة لا يقل أهمية عن تدريس علمي الفقه وأصول الفقه؛ إذ العلوم العقليّة هي الأساس المتين لبناء العقيدة الإسلاميّة.

فعلم الفقه كما يحتاج إلى صناعة لتنقيح حجية الأدلة الفقهية، بحيث يجوز الاستناد عليها في مقام استنباط الأحكام الشرعية، وذلك إنّما يتمّ في علم أصول الفقه، فكذلك هناك حاجة ماسة أيضاً ـ بحكم العقل الضروري ـ إلى وجود صناعة تنقح أدلة استنباط المعارف العقائدية، وليست إلا العلوم العقليّة، وهو أمر ضروري لتحصين العقائد من الانحراف.

فإنّنا نرى أن علم الفقه بقي مصوناً ومحفوظاً عن أيّ تحريف ببركة علم أصول الفقه وقوانينه المنضبطة والمتينة، في حين تفشت البدع والخرافات في العقائد الإسلاميّة لغياب الميزان العقائدي العقلي، بعد تهميش وإقصاء العلوم العقليّة الشريفة عن ساحة التعليم الديني،

وهيمنة الظنون والأوهام الكلامية والخرافات الصوفية على العقول والنفوس.

**الخامس: إلى جميع المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة**

إنّ المنطق والموضوعية العلمية تحتم عليهم تنقيح المباني المعرفية التي انطلقوا منها وبنوا عليها عقائدهم وأفكارهم أوّلاً، من خلال البحث العلمي المكتوب أو المناظرات والندوات العلمية والحوارات الفكرية الهادئة، بعيداً عن أجواء التشنج والعصبية والمهاترات اللفظية التي تنافي المنطق العقلي والآداب الإسلاميّة العامة، فطالب الحقّيقة لا يخشى من البحث والمناظرة ولا يتجنب الحوار، ولا يلجأ إلى الافتراءات والمهاترات؛ لأنّ ذلك جهد العاجز وسبيل الجاهل، فالحكمة ضالة المؤمن أيّنما وجدها أخذها.

**السادس: إلى رجالات الحكم والسياسة**

نأمل أن يكونوا على مستوى المسؤولية الخطيرة التي تحمَّلوها والأمانة الكبيرة التي قبلوها، فالحكومة أو القيادة السياسية لها مهام ثقيلة، فلا ينبغي التعاطي معها على أنها غنيمة ومنفعة خاصة، بل هي مسؤولية عظيمة وخير وسيلة يمكن استثمّارها في هداية الناس، وإقامة العدالة الاجتماعية، وخدمة المجتمع وإصلاحه، وترويج الفضائل والقيم الإنسانيّة المعنوية، ومحاربة الظلم والفساد، وحفظ

الأمن،وتأمين الرفاه الاجتماعي، والتصدي لمؤامرات الأعداء في الداخل والخارج.

ومن أجل تحقيق كلّ هذا،عليهم أن يكونوا على حذر شديد من السفهاء والانتهازيين والفاسدين والطفيليين أن يعشعشوا في أروقتهم، ويثقلوا كاهلهم ويجلبوا العار والفشل لحكوماتهم، فالسلامة والنجاح بالتخلص منهم واستبدالهم بالعقلاء والعلماء المتخصصين والرجال الصالحين المخلصين الحريصين على خدمة الناس والمواطنين.

وعليهم أن يعلموا أن الناس ما أقاموا المجتمعات البشرية إلا لأجل تكاملهم المادي والمعنوي، فعلى الحكام أن يشاوروهم ويشركوهم في النظام السياسي، وأن يسعوا لتأمين ذلك التكامل لهم، وذلك بتهيئة الظروف البيئية والاجتماعية لتحصيل هذه الكمالات، وعلى رأسها مسألة التربية والتعليم التي هي من أهمّ وظائف الحاكم السياسي.

وينبغي ألا يستأثروا بالحكم لتأمين مصالحهم الشخصية والعائلية أو الفئوية الخاصة، كما عليهم أن يعلموا بأنّ حالة الضعف والروح الانهزامية لا تتناسب مع القيادة وإدارة المجتمعات، فالمجتمع أمانة في أعناقهم، والأمين إذا ضعف أو عاش الانهزام النفسي قد يضيع ما أؤتمن عليه.

ولا بدّ من العمل على تحرير الأمّة من جميع قيود التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للغرب أو الشرق،

والتي أدّت إلى استعباد الأمّة وتخلفها عن مسيرة التقدم والنهضة، وأن يسعوا بقوّة لإصلاح النظام التعليمي والتربوي في المدارس والجامعات والمعاهد الدينية على أساس المنهج العقلي السليم، من أجل خلق أجيال وطنية مخلصة وواعية تحمل على عاتقها مسؤولية النهوض بوطنها وأمّتها العربية والإسلاميّة.

وفي الختام نؤكّد أن السبيل الرئيسي والوحيد لتأمين الكمالات المادية والمعنوية، وإقامة العدالة الاجتماعية وتحصيل الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، وتحقيق التعايش السلمي واستقرار الأمن القومي والاجتماعي، وتشييد أركان الحضارة الإنسانيّة الحقّيقية، إنّما يتحقّق في ظلّ الحكومة العقليّة الرشيدة، والمدينة الفاضلة السعيدة.

# فهرس المحتويات

مقدّمة ..... ٧

**الفصل الأول**

معالم الطريق الطويل ..... ١٣

**الفصل الثاني**

نظرة من الخارج نحو النفس ..... ١٧

**الفصل الثالث**

الإنسان ذلك الكائن المفكّر ..... ٢٣
عملية التفكير: ..... ٢٤

**الفصل الرابع**

اعتماد الفكر الصحيح على المنطق السليم ..... ٢٩

**الفصل الخامس**

الاتجاهات الفكرية المناوئة للمنهج العقلي وعواقبها الوخيمة .... ٣٥
الاتجاه الأوّل: ..... ٣٦
الاتجاه الثاني: ..... ٣٨
الاتجاه الثالث: ..... ٣٩

**الفصل السادس**

ضعف المنهج المعرفي أساس الانحراف الفكري ..... ٤١

## الفصل السابع

عودة إلى طريق الحكمة والعقل ..... ٤٧
أوّلاً: رؤيتهم الكونية ..... ٤٧
ثانياً: نظريّتهم في الأخلاق ..... ٤٩
ثالثاً: نظريتهم الاجتماعية ..... ٥٠
رابعاً: نظريّتهم السياسية ..... ٥٠

## الفصل الثامن

تشكيل الحكومة العقليّة للخروج من المحنة ..... ٥٣

## توصيات عقلية في نهاية المسيرة الفكرية

الأولى: إلى المراكز الفكرية والفلسفية الغربية المعاصرة..... ٥٩
الثانية: إلى المثقفين والمفكرين المتأثرين بالثقافة الغربية من العرب والمسلمين ..... ٦١
الثالثة: إلى المدارس والجامعات في الدول العربية والإسلاميّة .... ٦٢
الرابعة: إلى المدارس والمعاهد العلمية الدينية في العالم العربي والإسلامي ..... ٦٥
الخامس: إلى جميع المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة ..... ٦٦
السادس: إلى رجالات الحكم والسياسة ..... ٦٦